المحاضرة 02: لمحة مختصرة عن نشأة وتطور علم النفس

يمكن أن نميز بين ثلاث مراحل كبرى في تاريخ نشأة وظهور علم النفس هي:

المرحلة الفلسفية التأملية:

ارتبط علم النفس في هذه المرحلة بالفلسفة اليونانية التي مثلها سقراط وأفلاطون وأرسطو، حيث يعود لهم الفضل في الحديث لأول مرة عن الجوانب اللابدنية / اللاجسمية من السلوك البشري أي الروح والعقل، ويعتبر أرسطو الأب الفلسفي لعلم النفس، فهو أول من قدم مناقشات منهجية عن النفس.

وبعدها جاء أوغسطين (340-354م) الذي يعتبر أحد مؤسسي علم النفس بسبب مهاراته في عملية **الاستبطان**، كذلك فإن الفيلسوف الفرنسي ديكارت ترك بصماته في تاريخ علم النفس من خلال نظريته في المعرفة "الشك المنهجي" حيث استنتج وجوده هو نفسه من خلال قيام ذاته بالتفكير "أفكر إذن أنا موجود" وهو يعتبر مؤسس الفلسفة الحديثة.

لكن ما قدمته الفلسفة المثالية عن المعرفة العلمية بالسلوك الانساني كان ضعيفا وذلك بسبب تغليبها للتأمل على التكنيك، والمثاليات عن الواقع والمجردات عن الوقائع.

مرحلة الانفصال عن الفلسفة والارتباط بالدراسات الفيزيولوجية والطب التجريبي:

حدث الانفصال منذ منصف القرن 18 م، وقد أدى ذلك إلى تبلور واضح في استخدام المنهج العلمي والاستفادة من المنهج التجريبي الذي كان مستخدما في العلوم الطبية والعضوية، كذلك استفاد علم النفس في هذه المرحلة مما قدمه علم وظائف الأعضاء (الفيزيولوجيا) عن موضوعين مرتبطين ارتباطا واضحا بالسلوك البشري هما: الإحساس والإدراك، واستفاد علم النفس في هذه المرحلة من الدراسات الفيزيولوجية مما أدى إلى نشاة أول معمل أو مختبر لعلم النفس في عام 1879 على يد ويليام فونت بمدينة لايبزج بألمانيا وذلك من خلال إجراء تجارب على الإدراك والإحساس بهدف دراسة التفكير والشعور.

وبشكل عام ساعدت هذه المرحلة الفيزيولوجية من تاريخ علم النفس على زيادة المعرفة بالعلاقة التي تربط العمليات العضوية البيولوجية للانسان مع العمليات العقلية الذهنية لديه، باختصار العلاقة والتفاعل بين الجسم والنفس.

غير أن ارتباط علم النفس بالدراسات الفيزيولوجية أثار بعض التطرف في الرأي، ما أدى إلى تبلور جبهة جديدة عارضت اتجاه تبعية علم النفس للاتجاه الفيزيولوجي، ولقد أثيرت بعض الحجج القوية التي كان لها أثر عميق فيما بعد على استقلال علم النفس منهجا وموضوعا.

مرحلة الاستقلال العلمي:

وهي مرحلة بدأ علم النفس فيها يستقل منهجا وموضوعا، تحت تأثير مسلمة رئيسية أخذ بها في تلك الفترة ومفادها: السلوك الذي هو موضوع علم النفس موضوع قابل للملاحظة والقياس وبالتالي للتفسير، بمعنى أن له أسبابا وشروطا، وبعبارة أخرى أصبح عالم النفس يسلم منذ البداية أن للسلوك منطقا منسجما ينتظم من خلاله، فإذا حدث هذا الانتظام حدث السلوك ومع حدوث السلوك يمكن ملاحظته وقياسه ودراسته عن طريق المنهج العلمي.

وبالرغم من تباين معتقدات علماء النفس، فإن هدفهم كان واحدا وهو الكشف من خلال الدراسة العلمية المنظمة عن جوانب الغموض في السلوك الانساني، وبالرغم من أن الهدف واحد إلا أن الوسائل تنوعت مما أدى إلى تكوين عدد من المدارس والاتجاهات النظرية.

إذن فقد كانت انطلاقة علم النفس كعلم قائم بذاته واستقلاله منهجا وموضوعا في أواخر القرن 19 م وذلك من خلال عدة مدارس شكلت أرضية واسعة لمجال البحوث النفسية من خلال تعدد النظريات القائمة على ذلك، من أهم المدارس نذكر: المدرسة البنائية، المدرسة الوظيفية، المدرسة الجشطالتية، المدرسة الانسانية، مدرسة التحليل النفسي، المدرسة السلوكية.

وسنتطرق إلى أهمها في المحاضرات القادمة.